الظاهرة النسائية، عمليا وإبداعيا

دكتورة / نبيلة إبراهيم*

يقصد بالظاهرة النسائية تلك العلاقة المتوترة القديمة منذ الأزل بين الرجل والمرأة. وكان ذلك منذ أن خلقت حواء لتكون أنيسا لآدم. فوفقا للروايات الشائعة التى لم يقطع بها القرآن الكريم، أن حواء كانت السبب فى ارتكاب آدم للإثم وخروجه من الجنة، فإنه لم تكف هذه العلاقة عن أن تكشف عن تواجدها بشكل أو بآخر. وإذا كان الأدب هو التعبير الأصيل عن النفس، فإنه يعد حقلا خصبا نستطيع أن نكشف من خلاله تلك العلاقة المتوترة بين الرجل والمرأة أزليا وأبديا.

ويقدم هذا البحث عرضا تاريخيا لبعض النماذج الأدبية من أدبنا العربى القديم والحديث، نحاول أن نستشف منها سر هذه العلاقة المتوترة وبخاصة من وجهة نظر المرأة، أى **من خلال ما قدمته من أدب** تعبر فيه عن أهم مشكلة بالنسبة لها وهى علاقتها بالرجل.

ويكمل الجانب الأدبى فى هذا الموضوع الجانب العملى فى كفاح المرأة

---

* أستاذة الأدب العربى والأدب الشعبى بجامعة القاهرة.

(مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد ٢٧، يوليو/ تموز ١٩٩٧. – ص ص ١٨٧ – ٢٢٤).

ضد تسلط الرجل عليها ، وحتى بعد أن تسلحت بالعلم وخرجت للعمل . وقد قدمنا لذلك نماذج رائعة من كفاح المرأة المصرية الحديثة . وكل هذا يؤكد **أن علاقة المرأة بالرجل كانت وستظل ظاهرة ينبغى أن تدرس تاريخيا وأدبيا ونفسيا واجتماعيا .**

(١)

علاقة الرجل بالمرأة علاقة أزلية وأبدية . ولأنها أزلية وأبدية ، فهى تمثل على الدوام ، وعبر عصور التاريخ وعلى المستوى المحدود واللا محدود ، مجالا شديد السخونة ، قد ينفجر تارة مثيرا للبراكين ، وتارة أخرى يهدأ لينشر من حوله الجمال والسحر .

ولأن الرجل والمرأة مخلوقان آدميان على حد سواء ، ولأن أحدهما خلق لكى يلد ويرعى ما يلده ، فى حين أن الآخر أعفى من هذه المسئولية . ولأن التهيؤ للولادة عملية بيولوجية تحدث تغييرات أساسية فى جسم المرأة ونفسيتها ومزاجها منذ نعومة أظفارها ، كان التساؤل الأزلى عن الاختلاف بين هذين الآدميين اللذين كلفا بتعمير الأرض معا على الرغم من اختلافاتهما وصراعاتهما .

وكان من الطبيعى مع تطور الحياة البشرية ، أن ينتقل النظام الأموى إلى النظام الأبوى ؛ فالرجل أكثر حرية من المرأة ، وهو غير ملزم بالبقاء فى السكن الذى خصص للمعيشة ورعاية الأبناء ، وإنما تستدعيه الحياة الخارجية ليتأملها إلى

آفاق بعيدة ، حيث العلاقات متبادلة بينهما ؛ فهي تمده بما يشاء ، وهو يضيف إلى ما يأخذه منها ما يعين على تطور الحياة ويزيدها ثراء ماديا وفكريا . وتستقر الأوضاع على هذا النحو ، ويزداد الرجل تسلطا وتحكما .فالبيت ملكه ، والأبناء ملكه ، ولابد أن تدخل المرأة كذلك في نطاق حوزته . وبهذا يطمئن الرجل إلى أن الجميع يعيش في ظله ، ومن ثم تصبح له الكلمة النافذة والرأى الأخير .

وكانت المرأة ، على مر العصور ، كلما دفعت من داخلها لكي تثبت وجودها ، تأتي الأفكار والمقولات من هنا ومن هناك لتؤكد للرجل رجولته وللمرأة أنوثتها . والفرق بين الذكورة والأنوثة ، كما ادعى علماء النفس فيما بعد ، هو الفرق بين الشعور واللاشعور . والشعور واضح وصريح ومشرق وفعال ، في حين أن اللاشعور خبيء ومظلم ومضطرب . ومن ثم تصبح حواء التي تعد صنو الحية التي شاركتها الخديعة ، متسمة بالفوضى وعدم التعقل ، في حين يصبح الرجل متسما بالصراحة والاتزان في القول والفعل . وعلى الرغم من أن القرآن الكريم برأ حواء من هذه التهمة ، بأن جعلها وآدم مسئولين عن فعلتهما ، إذ قال تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه »(١) فقد رسخت المقولة الأولى في عقول الناس وما تزال متسلطة عليها حتى اليوم . وتظل حواء ، بناء على ذلك ، هي الإنسان الضعيف الماكر ، القادر على الإغراء والإغواء . ثم تأتي مقولة ثانية ؛ وهي مقولة دينية كذلك ؛ وقد استغلها الرجل في تثبيت حقه في علو شأنه على المرأة . فقد ورد في الأديان السماوية أن الله علم آدم الأسماء كلها ، وليس لحواء ذكر في

هذا الشأن . ومن هنا كان التساؤل : ولماذا لم يعلم حواء ؟ وهل تعلمت حواء اللغة من خلال آدم ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فإن آدم هو الذى يملك ناصية اللغة ، وهو القادر على أن يكون فيها أكثر إبداعا وأسمى فنا .

(٢)

ومع المسيرة الحضارية تظهر أشكال من التعبير الجمعى لدى كل شعب من الشعوب . ومن أهم سمات هذا التعبير أنه نتاج شعورى يخضع إلى حد كبير لمتطلبات اللاشعور الجمعى ؛ ومن ثم فهو يتسم بالصدق والعفوية . ونستطيع أن نقول : إن **التعبير الشعبى** بشكل عام يصور الرجل والمرأة على طبيعتهما . ومن الناحية الإيجابية فهو يصورهما على قدم المساواة فى السعى إلى تحقيق الذات ، كما يضعهما على قدم المساواة فى الذكاء والحكمة والمقدرة الإبداعية .

فكل أساطير العالم عرفت الآلهات إلى جانب الآلهة . وقد ثبتت الآلهات بوصفها رموزا للحكمة والجمال والعطاء والفن ، مثل إيزيس وحتحور وديميتر وأثينا وفينوس وغيرها . وهى فى ذلك تقف مناظرة للآلهة التى ترمز لهذه المعانى وغيرها . حقا إن التعبير الجمعى أثبت إلى جانب ذلك نماذج مفزعة للمرأة ، فصورها حارسة للعالم السفلى ، وصورها ساحرة ماكرة تسحر الشباب وتبتلعهم فى عالمها الفوضوى . ولكن التعبير الجمعى لم يعف الذكر من تصويره فى تلك النماذج[٢] كذلك .

وإذا كنا نسلم مع علماء النفس ، وبخاصة يونج ومدرسته ، أن الحكاية

الخرافية – أو ما نسميه « الحواديت » – تحكى عن تجارب الإنسان مع لا شعوره وصراعه مع القوى المعوقة بداخله وخارجه، حتى يتحقق له الخروج من عالم الظلمة إلى النور، ومن الفوضى إلى النظام، ومن حالة الخوف والاضطراب إلى حالة الثقة والاطمئنان، حتى يصل فى النهاية إلى تحقيق تكامله وتأكيد ذاتيته بحيث يشعر فى النهاية بالانسجام مع نفسه ومع الناس ومع الكون كله، فيكون بذلك كفئا لأن ينال مأربه البعيد المنال – فإن هذا الشكل من القص الشعبى كان منصفا فى أن يجعل بطله من الجنسين على حد سواء، مؤهلا لتحقيق ذلك. ويخطئ من يظن أن المرأة فى الأدب الشعبى لم تصور إلا بوصفها الأداة التى يحقق بها الرجل بطولته؛ فليس هناك فى « ألف ليلة وليلة »، على سبيل المثال، شخصية رجولية حققت ذاتها على نحو ما فعلته « تودد » فى حكايتها المعنونة باسمها. لقد كانت « تودد » تعلم علم الرجال جميعا وتفوقهم فى ذلك. وكان كل عالم منهم إذا تقدم إليها ليختبرها فى علمها، تلقى منها – فى فصاحة – الرد السليم. حتى إذا جاء دورها فى أن تختبره، عجز عن الرد، وعندئذ يسلم بعلو شأنها عليه، وكان علامة ذلك أن يخلع عنه طيلسانه ويسلمه لها ويخرج مهزوما[٣].

وكلنا يعرف أننا نملك فى تراثنا الشعبى العربى عددا لا بأس به من سير الأبطال. ومن الطبيعى أن يحتفل الأدب الشعبى بالبطولات التاريخية فى مثل « عنترة » و « الملك سيف بن ذى يزن »، و « الظاهر بيبرس »، و « والزير سالم »، و « أبى زيد الهلالى » وغيرهم على أساس أنها تمثل الوعى العربى بحركة التاريخ. ولكن ما يدعو إلى الإعجاب حقا أن يحتفل هذا الأدب

ببطولة المرأة ، إلى درجة أن يخصها بسيرة كاملة ؛ هى سيرة « الأميرة ذات الهمة » . وإذا كان من أهم خصائص البطل الشعبى المكلف بالصراع من أجل تحقيق مطالب قومه وتحريرهم من كل ما يكبل حركة مسيرهم نحو العدالة والحرية ، أن يكون قادرا أولا على تحرير ذاته ، فإن هذه العملية نفسها ، أعنى تحرير الذات ، قد تمت مع « ذات الهمة » . لقد كانت مهمة « ذات الهمة » الأولى فى بداية الأمر أن تحرر نفسها من زوج ظالم غشوم شاء أن يقهرها إلى حد الاستعباد ، إلى حد أنه طعنها فى شرفها بأن أنكر بنوة ابنه عبد الوهاب منها لأنه ولد أسود اللون . وبعد أن تمكنت ذات الهمة من تبرئة نفسها ، هجرت الزوج الظالم ، بل هجرت المكان بأسره ، وحملت معها ابنها إلى حيث تؤكد ذاتها مع الرجال الأبطال الذين نذروا أنفسهم لتحرير الوطن ، لا من تهديد العدو الخارجى فحسب ، بل من تهديد القوة المخربة فى داخل الوطن كذلك . ولهذا كان صراعها مع الأبطال الذين كانت تتزعمهم ، يدور على محورين فى آن واحد ؛ محور القضاء على سطوة العدو الخارجى ، ومحور القضاء على النماذج الفاسدة المزيفة التى تعيث فسادا فى الداخل . وهكذا تؤكد هذه السيرة أن البطولة من حق الرجل والمرأة معا ، وأن كلا منهما لا تتحقق له البطولة إلا إذا حرر ذاته أولا ، ثم انطلق بعد ذلك متجاوزا مصالحه الشخصية إلى المصلحة الكبرى ، مصلحة الوطن وأمنه وسلامته[٤] .

(٣)

كل هذه النماذج النسائية الإيجابية ، ظل يحفل بها التعبير الشعبى منذ الزمن القديم . ولكن هذا التعبير ، ربما لأنه شعبى ، لم يكن مؤثرا أو فعالا فى

مجتمع أو مجتمعات جبلت على أن تدفع بالمرأة إلى الانزواء فى البيت ، تاركة الحياة الخارجية للرجل وحده . ومما زاد الأمر سوءا انتشار تجارة الرقيق الذى جعل النساء صنفين : صنفا مقيدا يعيش حياته داخل البيوت مكبلا بالتقاليد التى تحرم عليه السفور والخروج إلى الحياة ، وصنفا حرا يجالس الرجال ويبدع فى فنون الشعر والغناء . القسم الأول هن النساء الحرائر ، والقسم الثانى كن من الرقيق المشترى بالمال . وشاعت عندئذ المقولة التى ربما كان يهدف بها ترضية المرأة الحرة ، وهى أن الفرق بين المرأة الحرة والجارية كالفرق بين رغيف البيت ورغيف السوق . نعم إن رغيف البيت أكثر نظافة وربما كان أحسن شكلا ، ولكن رغيف السوق ألذ طعما .

وبهذا تتم المفارقة من أن المرأة الحرة لا تكون حرة إلا إذا كانت مقيدة ، بل مكبلة بالأغلال ، فى حين تصبح الأَمَةُ المكبلة بنظم اجتماعية بالية ، حرة فى ممارسة حياتها الاجتماعية .

ويستمر هذا النظام سائدا فى المجتمع العربى ، بل فى كثير من بلاد العالم ، زمنا طويلا . ولولا صرخات مدوية صدرت عن المرأة هنا وهناك لحسبناها استسلمت ولم تعد تهتم بمطالبها الشخصية وتأكيد ذاتها . ومن حسن الحظ أن كتب التراث احتفظت لنا بتلك الأخبار المتفرقة التى تحكى عن صراع المرأة مع الرجل من أجل تحرير نفسها من عبودية لم ترضها لنفسها .

فهذه شاعرة عربية تعلن تمردها على زوجها واشمئزازها منه بعد أن تبين لها أنه زير نساء . تقول :

وأترك حبه من غير كره ... وذاك لكثرة الشركاء فيه

إذا عف الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وتجتنب الأسودُ ورودَ ماء ... إذا كان الكلاب وَلَغْنَ فيه

وهذه شاعرة أخرى بدوية هى « ميسون الكلابية » ، تزوجها الخليفة معاوية ابن أبى سفيان ، فأحضرها من البادية لتعيش فى قصور دمشق . ولكن أبىَ لها أن تستمتع بحياة القصور وقد أفقدها الزواج ، وإن يكن بالخليفة ، هويتها . فلما تمردت ورد الخليفة على تمردها بقوله : ألم يكفها أنها تعيش حياة القصور ، قررت أن تهجر تلك الحياة بعد أن أيقنت أن حياتها فى البادية مع شظف العيش أكرم لها وأحب إلى نفسها من حياة ثرية لا تجد فيها نفسها ، وقالت ضمن ما قالت :

لبيتٌ تخفق الأرواح فيه ... أحب إلى من قصر منيف

وأكلى كسرةً من خبز بيتى ... أحب إلىّ من أكل الرغيف

ولُبْسُ عباءة وتَقَرّ عينى ... أحب إلىّ من لُبْس الشُّفوف

وهذه « هند بنت عتبة » ، ظن بها زوجها « الفاكه بن المغيرة » السوء فى علاقتها مع رجل غريب . ودافعت هند عن نفسها ولكن زوجها لم يصدقها وأرسلها إلى أهلها .وكان لابد أن يُحسم الأمر على يد كاهن من كهان اليمن . وبرأها الكاهن وقال لها كلمة تحمل نبوءةً لها فضلا عن تبرئتها . قال لها : « قومى غير رَشحاء ولا زانية ، ولَتَلِدِنَّ ملكا اسمه معاوية . وهش الزوج وبش ،

لتبرئتها أولا ، ولأنها ثانيا ستلد له الابن الذى سيصبح ملكا فى المستقبل ؛ فجاءها مبتسما يمد إليها يده ليأخذ بيدها ، فما كان من هند إلا أن طوحت بيده جانبا بشدة ، وقالت له : إليك عنى ! والله لأحرصن على أن يكون من غيرك . ثم تزوجت أبا سفيان ، وولدت منه معاوية بن أبى سفيان .

وربما احتفظت الروايات بأخبار النساء اللاتى كن متزوجات من مشاهير الرجال . ومما لا شك فيه أن كثيرا من النساء المغمورات كن يشاركنهن تمردهن . وعلى كل فإن مثل هذه المواقف تؤكد أن المرأة لم تكن تعيش مهزومة على الدوام ، بل كانت كثيرا ما تناضل مدافعة عن نفسها ما وسعها ذلك .

(٤)

ومنذ القرن الثامن عشر ، كانت صحوة بعض شعوب العالم مع الثورات التى نادت بالحرية والديمقراطية . وقد صاحب ذلك **صحوة تحرير المرأة** . ولم يكن شرقنا العربى بمنأى عن هذه الثورات و وإن كان حينذاك غير مهيأ بعد للدعوة إلى تحرير المرأة . فعندما نشر « **قاسم أمين** » كتابه « تحرير المرأة » فى عام ١٩٠١، عد هذا حدثا خطيرا اضطربت له الهيئات الدينية وكثير من المتعلمين ، وأبدى « الخديوىعباس الثانى » سخطه على الكتاب ومؤلفه ، وأمر بألا يدخل قاسم أمين قصر عابدين مع ما كان له من مكانه سامية فى القضاء . ولكن هذا لم يفل من عزيمة قاسم أمين ، وعاد وأصدر كتابه « المرأة الجديدة » يفند فيه حجج خصومه . ولم يمض وقت طويل حتى اجتذبت آراء قاسم أمين كثيرا من الأنصار الذين كانت أصواتهم قوية ومسموعة ، بل إن بعض هؤلاء

أخذ يستحث همم النساء للمطالبة بحقوقهن، ويرى أن المرأة فى استسلامها لأوضاعها تعد شريكة الرجل الذى يصر على غمط حقها. وفى ذلك يقول «لطفى السيد»: «فإذا كانت حقوق المرأة الطبيعية وحقوقها الشرعية يغمطها الرجال فلا يراعون فيها تقاليد الأسلاف ولا يرقبون فيها أوامر الدين، فإن النتيجة اللازمة عن ذلك هى تعطيل نصف الإنسانية عن كثير من الخدم المطلوبة.. ولم تكن هذه النتيجة المحزنة كلها من ظلم الرجال، ولكن قعود المرأة الشرقية عن الأخذ بأسباب رقيها الذاتى ورضاها بالحظ الذى قسمته لها القوة فى هذه القرون الأخيرة، وعدم محاولتها تلطيف أحكام القوة القاهرة، كل هذا يجعل لها شركة بوجه ما فى الضرر الذى حاق بها»[٥].

وانطلقت المرأة تدافع عن حقوقها، وبرز فى المجتمع المصرى عدد من الشخصيات النسائية اللاتى شرعت كل منهن تدافع عن حقوق المرأة من ناحية، وتؤكد ذاتها بشكل أو بآخر من ناحية أخرى. وكانت **باحثة البادية «ملك حفنى ناصف»**، التى تعد ابنة قاسم أمين الروحية فى الفكر والجرأة، من أوائل النساء اللاتى بدأن ينشرن مقالاتهن ويلقين خطبهن فى المحافل دفاعا عن المرأة وحقوقها. وقد جمعت خطبها ومقالاتها فى هذا الموضوع فى كتابها «نسائيات»، ويهمنا فى هذا الكتاب تلك الخطبة التى ألقتها فى نادى حزب الأمة بحضور المئات من النساء. ولا يذكر أن رجالا حضروا تلك الخطبة، ولكن فقرات منها كانت موجهة للرجال الذين بدأوا يتذمرون ويقاومون خروج المرأة من البيت ومزاحمتها الرجل فى العمل. وهى تكشف كذلك فى هذه الخطبة نقاط ضعف الرجال الذين يملؤهم الخوف من مناصرة

المرأة . تقول :

« لقد عمت الشكوى منا ، وكثرت كذلك شكوانا من الرجال . فأى الفريقين محق فى دعواه؟ وهل نكتفى من الإصلاح بمجرد التذمر والشكوى؟ لا أظن أن مِنّا مَنْ طاوع أنينه فشفاه .. بيننا وبين الرجال الآن شبه خصومة ، وما سببها إلا قلة الوفاق بيننا وبينهم ، فهم يعزون هذه الحالة إلى نقص فى تربيتنا ، وعوج فى طريقة تعليمنا ، ونحن نعزوها إلى غطرستهم وكبريائهم . وهذا الاختلاف فى إلقاء المسئولية زادنا اختلافا فى العيش ، ووسع هوة الجفاء بين الرجال والنساء فى مصر ؛ وهو أمر لا ننظر إليه بعين الارتياح ، وإنما نأسف له ونتوجس منه . لم يخلق الله الرجل والمرأة ليتباغضا ويتنافرا ، وإنما خلقهما الله ليسكن أحدهما إلى الآخر فيعمر الكون . إن فى ائتلافهما بقاءه » .

ثم تقول : « ولما كانت أشغال منزلنا قليلة لا تشغل أكثر من نصف النهار ، فقد تحتم أن نشغل النصف الآخر بما تميل إليه نفوسنا فى طلب العلم ، وهو ما يريد أن يمنعنا عنه الرجال بحجة أننا نشاركهم فى أعمالهم .. يقول لنا الرجال ويجزمون : إنكن خلقتن للبيت ، ونحن خلقنا لجلب المعاش ؛ فليت شعرى ، أىُّ فرمان صدر بذلك .. ولا أظن أصل تقسيم العمل بين الرجال والنساء إلا اختياريا ، بمعنى أن آدم لو كان اختار الطبخ والغسل وحواء السعى وراء القوت ، لكان ذلك نظاما متبعا الآن ، ولما أمكن أن يحاجنا الرجال بأنا خلقنا لأعمال البيت فقط .. فإذا قال الرجال إننا خلقنا ضعيفات ، قلنا لا ، وإنما أنتم أضعتمونا بالمنهج الذى اخترتم أن نسير فيه .. فهل بعد أن استعبدنا الرجال قرونًا

طوالا حتى خيم على عقولنا الصدأ وعلى أجسامنا الضعف ، يصح أن يتهمونا بأنا خلقنا أضعف منهم أجساما وعقولا .. نحن نعترف لرجال الاختراع والاكتشاف بعظيم أعمالهم ، ولكنى لو كنت ركبت المركب مع خريستوف كولمب ، لما تعذر على أنا أن اكتشف أمريكا »(٦) .

لقد كانت باحثة البادية تتحرك فى كل الجبهات لتدافع عن حقوق المرأة ، مشاركة فى ذلك قاسم أمين ؛ فكلاهما كان يكتب فى الصحف والمجلات ، وكلاهما كان يخطب فى الأندية والمحافل ، وكلاهما كان مؤمنا بدعوته ، صامدا أمام المعارضة العنيفة ، وكلاهما ناقش حقوق المرأة الكفيلة بتحريرها آنذاك ، مثل السفور والتعليم ، كما ناقش قضية الطلاق وتعدد الزوجات . وكان نتيجة هذا التكثيف فى الحملات المناصرة للمرأة ، أن بدأت تظهر بعض الاستجابات الجماعية من قبل الشبان المثقفين. فقد اتفق عدد من الشبان المثقفين فيما بينهم على تأليف جمعية لتحرير المرأة . حتى إذا بلغ عددهم الألف ، أطلقوا الحرية لنسائهم وأخواتهم وأمهاتهم وبناتهم ، وأباحوا لهن أن يخرجن سافرات . وكان قد سبق لقاسم أمين أن طرح هذه الفكرة فى كتابه « تحرير المرأة » ، فاقترح تأسيس جمعية يدخل فيها الآباء ومن يريد تربية بناته على الطريقة الجديدة ، وأن يختار لتلك الجمعية رئيسا من كبار المصريين ، ويتركز عمل الجمعية فى التعاون على تربية البنات على القاعدة الحديثة أولا ، ثم السعى لدى الحكومة فى إصدار القوانين التى تضمن للمرأة حقوقها ، بشرط ألا تخرج فى شىء من ذلك عن الحدود الشرعية ثانيا » .

على أن باحثة البادية كانت تتوجس فى آخر أيامها من ألا يتجاوز التغيير

فى حياة المرأة الشكل إلى الجوهر . والجوهر عندها هو الوصول إلى التحول الكلى فى شخصية المرأة ، بحيث لا تفهم من التغيير أن تخدم نفسها فحسب ، بل تخدم مجتمعها كذلك بحيث تدفعه إلى التغيير الجذرى . تقول فى رسالة وجهتها إلى الرائدة الأدبية « مى زيادة » .

« كنت اعتزلت الكتابة لا لنضوب مادتها عندى ، ولا اكتفاء بالقليل الذى كتبت من قبل ، ولكنى كنت مللت المناداة بإصلاح المرأة المصرية . وثبط عزمى ما أراه من انصراف فئة المتعلمين والمتعلمات الجدد عن العمل لتكوين القومية المصرية المطلوبة . وما حركتهم التى ملأوا بها القطر صراخا إلا عنوان نهضة كاذبة » .

ولهذا فهى تطالب المرأة ، وهى ماتزال تهاجم الرجال ، بأن تنصرف عن اللغط الذى مازال الرجال يثيرونه بشأن قضيتها ، وأن تفكر فى الطرق المثلى التى تمكنها من تحقيق عمل ذى قيمة جوهرية فى النهوض بالمجتمع . تقول :

« تسألينى ياسيدتى أن أدلك وسط هذه الأحوال المتضاربة والآراء المتشعبة عن الطريق الذى يحسن بالفتاة نهجه . وإنها لحال توجب الحيرة ، ولا ندرى أى الطرق نسلك لنصل سريعا إلى الغاية التى نقصد إليها . كلنا يرمى إلى تنور الفتاة وإعدادها لأن تكون زوجة صالحة وأما نافعة أبناءها ووطنها ، ولكن لكل مناد بالإصلاح وجهة هو موليها . فبعضهم لا يرى لهذا التأخر والجهل من سبب إلا كان راجعا للحجاب ، وهؤلاء قرروا سفور المرأة حالا .. وفريق لا يرى للسفور فائدة ، ويقول : إن الحجاب لا ينفى العلم ، وإن إطلاق الحرية للمرأة أخيرا ، كان سببا لفسادها . وإن اطراد تعليم المرأة وتثقيفها سيكون مجلبة

للشغب ولخروجها عن حدود وظيفتها فى المستقبل ، كما خرجت أختها الغربية الآن . فأى الطريقين نسلك ، ومن نتبع ؟ إننا معشر النساء لازال ظلم الرجال يرهقنا ، واستبداده يأمر وينهى فينا حتى أصبحنا ولا رأى لنا فى أنفسنا . فهل هو حسن النية فى كل ما يطلب منا ولأجلنا ، أم هو يريد بنا شرا ؟ لاشك أنه أخطأ وأصاب فى تقرير حقنا من قبل ، ولاشك أنه يخطئ ويصيب فى تقرير حقوقنا الآن .

نحن لا نأبى أن نتبع رأى العقلاء والمصلحين من الأمة ، ولكننا لا يمكننا كذلك أن نعتقد أن كل من تصدى للكتابة فى موضوع المرأة من العقلاء المصلحين . ليدعنا الرجل نمحص آراءه ونختار أرشدها ، ولا يستبد فى تحريرنا كما استبد فى استعبادنا . إننا سئمنا استبداده . إننا لا نخاف من الهواء ولا من الشمس ، وإنما نخاف عينيه ولسانه ، فإن وعدنا أن يغض بصره كما يأمره دينه ، ويكف لسانه كما يوصيه الأدب ، نظرنا فى أمرنا وأمره ، وإلا فكل منا حر يفعل ما يشاء »(٧) .

وهكذا أصبح صوت المرأة يدوى فى الآفاق . والشيء الرائع حقا أن اختلط صوتها بأصوات بعض الرجال الحريصين على مصلحة المجتمع أولا قبل مصالحهم الشخصية . فها هو ذا أحد أساتذة الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى ، هو « الشيخ حسين والى » ، يرفع صوته عاليا مطالبا بعدم تعدد الزوجات . قال : « فياقضاة الإسلام » ، اعملوا بتلك الوصية ، واضربوا على أيدى الرجال ، حتى لا يتزوج الرجل أكثر من واحدة إلا بإذن القاضى بعد علمه بالقدرة والمصلحة والعدل . ما بال الناس ينظرون إلى المسألة من جهة الجواز ، ولا ينظرون إليها من

جهة المنع، هذه مغالطة فى الدين أو جهل، وكلاهما لا يجوز»[٨] .

(٥)

وتوالى بروز **الرائدات من النساء فى مجال الأدب والفن والصحافة والإصلاح الاجتماعى**، فكانت «**عائشة التيمورية**» الشاعرة الأديبة، وكانت «**هدى شعراوى**» التى تمتعت بمكانة عالية فى عالم الرجال بخطبها الفصيحة ومشاريعها الإصلاحية المتعددة. ثم كانت «**مى زيادة**» صاحبة الصالون الأدبى الذى استقطب رجال مصر الكبار فى المجالات المختلفة، فكان يحضره أحمد لطفى السيد، والعقاد وطه حسين ومصطفى صادق الرافعى ومصطفى عبد الرازق ومحمد حسين هيكل وغيرهم. وكانت «مى» تكتب بالفرنسية والإنجليزية. وكانت كتابتها بالعربية تتسم بالرصانة والقدرة الفائقة على التصوير، والعاطفة الجياشة. ولننظر إلى فهرس أحد كتبها التى تبلغ الثلاثة عشر، وهو كتاب «المد والجزر» لنرى إلى أى حد كانت هذه الأديبة الرائدة ملمة بالثقافات المتنوعة من الشرق والغرب. فهى تتحدث فى هذا الكتاب عن لغة الحضارة ولغة اليونان واللغة عند اللاتين وعند العرب؛ وهى تتحدث عن المجمع اللغوى، وعن الشعر العاطفى الحماسى، وعن الرأى العام فى عهد محمد على، وغير ذلك من الأبحاث التى تدل حقا على عمقها الثقافى وسعة اطلاعها.

ثم اقتحمت المرأة فى مصر مجال الفن، وكان لها باع طويل فيه. وها هى ذى «**فاطمة اليوسف**» الشهيرة بروز اليوسف، تحكى فى ذكرياتها كيف أنها كانت وهى صبية صغيرة يتيمة الأب والأم، تذهب إلى المسرح الذى كان

يسمى دار التمثيل العربى لتتفرج على المسرحيات ، وكيف ساعدتها الظروف على أن تشارك فى التمثيل مع كبار الممثلين وهى ما تزال طفلة . وكانت قد سلطت عليها امرأة تدعى « صالحة قاصين » فكانت دائمة السخرية منها . وشعرت فاطمة بأن هذه المرأة تكاد تقتلها . وذات يوم وجدت فاطمة السيدة صالحة تجلس بمفردها فى حجرة من حجرات المسرح ، فاقتحمت عليها الحجرة وسولت لها نفسها أن تنتقم منها . فلما بدأت تسخر منها كعادتها ، انهالت عليها فاطمة ضربا والمرأة تصرخ . ثم أغلقت عليها الباب وخرجت . وتصف فاطمة إحساسها بنشوة الانتصار بعد هذا الفعل فتقول وهى تحكى عن نفسها بضمير الغائب : « وخرجت وقد خلقت خلقا جديدا ، إذ شعرت أنها أغلقت الباب على الخوف والضعف والاستكانة ، وقررت ألا تمشى إلا وهى مرفوعة الرأس وكأنها سجلت حقها فى أن تكون حرة محترمة ، ولا تخاف اقتحام هذه الحياة . أما صالحة قاصين فقد أصبحت صديقة عزيزة لها فيما بعد »[٩] .

وصارت فاطمة اليوسف تتبع عزيز عيد كظله ، وكانت إجادتها فى التمثيل تتحقق يوما بعد يوم إلى أن أطلق عليها اسم « سارا برنار » الشرق . ثم تركت فاطمة التمثيل وهى فى أوج قمتها لتثبت وجودها فى مجال فنى آخر كان يستهويها كذلك هو مجال الصحافة . وكان من الغريب حقا أن تفكر امرأة ، مهما طال باعها ، فى إصدار مجلة تعرف باسمها ، ولكن فاطمة اليوسف قررت أن تتصدى لكل الصعوبات التى وضعتها فى الحسبان . وهى تصف هذه الصعوبات وتقول : « لم تكن هذه الصعوبة الكبرى فى المال ، ولا الجهد المضنى ، ولا فى سوق الصحافة الضيق ، بل كانت تتلخص فى أننى سيدة ..

كان اقتحامى ميدان الصحافة بالذات أمرا صعبا جديدا على الرجال ، فما بالك بالنساء . وفى هذا الجو كان على أن أمضى .. أن أتحمل مسئولية عمل يحمل اسمى ، أن أشن الحملات وأتعرض للهجوم المضاد ، أن أرأس مؤسسة كل من يعمل فيها رجال .. أن أذهب لمقابلة رجال هم أمام الناس وزراء وكبراء ، ولكنهم فى حقيقتهم ليسوا إلا رجالا لا يعرفون عن النساء إلا أنهن لهو ومتاع . كانت هذه فى واقع الأمر مشكلة المشاكل ، وكان على أن أجتاز تجارب قاسية ، وأن أتعلم دروسا كثيرة »[١٠] .

وكم لاقت المجلة من الاضطهاد ، وكم من مرة صودرت حتى كانت الخسائر تصل إلى حد التهديد بإغلاقها ، وكم من مرة اقتحم دورها رجال البوليس لا انتزاع ما بها من أعداد للمجلة لإحراقها قبل أن تخرج للجمهور . ولكن المجلة ، برغم كل هذا ، ظلت صامدة حتى توطدت مكانتها ، وأصبحت المجلة التى إلا غنى عنها لقارئ مصرى . وفى ذلك تقول فاطمة اليوسف : « وتحت وطأة الاضطهاد العنيف والمصادرات المتوالية ، حملت روز اليوسف وسام الاعتراف الشعبى بجهادها ، إذ وقف مصطفى النحاس باشا يخطب ذات يوم فى حفل كبير ، فهاجم الحكم الاستبدادى ، واستشهد على ذلك بالاضطهاد الذى يصب على مجلتنا روزاليوسف . ونقلت جريدة التيمس فى لندن هذه الكلمة ، وأصبحت المجلة موضع فخر الجميع ، وبات الرجال البارزون الذين كانوا يخفونها منذ سنة فى جيوبهم ، يحملونها علنا ويقرأونها على زوجاتهم وأولادهم » .

لقد كانت فاطمة اليوسف أما لجماعة من الصحفيين الذين عملوا معها

صغارًا ثم أصبحوا كبارًا فيما بعد . وكانت كما يقول عنها ابنها ، إحسان عبد القدوس ، أمًّا كافحت وعلمت أبناءها كيف يكافحون وأمًّا عنيدة وعلمت أولادها العناد ، وأمًّا انتصرت وعلمت أولادها كيف ينتصرون » ، هذه مقتطفات من نماذج مشرفة للمرأة العربية الحديثة المكافحة ، بل المصارعة فى سبيل تأكيد ذاتيتها فى عالم كان يتمنى ألا يرتفع لها فيه صوت ، بل تظل قابعة في بيتها تعمل ولا تسأل ، وتعطى ولا تأخذ .

(٦)

ثم بدأت العاصفة تخف فى حدتها تدريجيًا بعدما تسلمت المرأة صكًّا من المجتمع بحقها فى السفور والتعليم والعمل والانتخاب . وكان على المرأة بعد ذلك أن تبدأ فى ممارسة حقوقها فى هدوء بعيدا عن انتقاد الرجل . ولماذا ينتقدها الرجل اليوم ؟ أليس هو الفائز فى كل زمان ومكان ؟ فلتعمل المرأة خارج البيت ، ولتعمل فى أى عمل يروق لها ما دامت لا تقصر فى توفير الراحة والنظام فى البيت . وأنىّ لها أن تقصر وهى مسئولة أولا عن توفير كل ما يحتاج إليه الأبناء الذين ولدتهم من وسائل الراحة فى معاشهم حتى يصيروا شبابا وشابات صالحين لأنفسهم على الأقل . وماذا يضير الرجل كذلك فى أن المرأة أصبحت تتكسب من عملها ، وهى لا تتردد فى الإسهام فى أعباء الحياة التى أصبح ثقلها يتزايد عاما بعد عام . ثم إن هذه الحقوق التى اكتسبتها المرأة فى نهاية الأمر لم تقلل من سيادته فى شىء ؛ فما تزال حياته الحقيقية خارج البيت ، وما يزال حقه فى الطلاق وتعدد الزوجات قائما لم يمس ، وما يزال المجتمع يعطيه حق السيد الذى ينبغى أن يكفل له حق الراحة والخدمة .

وإذا كان العمل، فى المصطلح الاجتماعى، هو القيام بفعل فى مقابل الأجر، ولأن عمل المرأة الكادح فى البيت وفى رعاية الأبناء غير مدفوع الأجر، لأنه عمل طبيعى، فإن هذا العمل الدءوب المتواصل لا يؤبه به، كما أنه لا دخل له فى حسابات النظريات الاجتماعية والأيدلوجيات التى تنظم أحوال المجتمع.

لهذا كله وجدت المرأة الحديثة نفسها تدور فى طاحونة تكاد تسحقها. وعندما تعيد حساباتها بين الكسب والخسارة، تجد أن مكسبها اليوم، الذى تعتد به، وهو زيادة الوعى وتأكيد ذاتها ثم استقلالها الاقتصادى، يوشك أن يتبعثر تحت وطأة الشعور بالتعب الجسدى والنفسى. وربما نسمعها تقول المثل الشعبى: « كأنك يابو زيد ما غزيت ». وربما قالت: « ياريتك يابو زيد ما غزيت ».

وقد نتصور أن رجل اليوم قد تستفزه شكواها، فيقف ليسألها: وماذا تريدين؟ ألم تطالبى بمكاسب محددة فنلتها؟ وترد المرأة المتعبة وتقول إنها حصلت حقا على مكاسب ولكنها لم تحصل على المساواة. وعندئذ يدور الجدل مرة ومرة حول مفهوم المساواة والحقوق والواجبات. وينتهى النقاش بغير اتفاق كما بدأ، ويعود كلٌّ ليمارس حياته كما رسمت له فى صمت.

وإذا كانت المرأة فى الزمن السالف قد وجدت من يرد عليها بأصوات تملأ الحياة دويًا فإذا الجميع يلتفت إلى المشكلة فيشارك فى مناقشتها، فإنها اليوم لن تجد من يرد عليها. ولم يبق للمرأة إلا أن تبث مشاكلها ومتاعبها فى كتاباتها إن كانت كاتبة، فإن لم تكن فيكفيها الثرثرة حول مشكلاتها مع قريناتها.

وها هى ذى **بعض نماذج المرأة فى قصص بعض الكاتبات العربيات ورواياتهن** ، مع تقديم بالغ عذرى عن أننى لم أتمكن من الحصول على كثير من أعمال كاتباتنا فى الوطن العربى . ولهذا فأنا أنتزع بعض النماذج مما كانت قراءاته فى متناول يدى .

فالبطلة « ليلى » فى رواية « الباب المفتوح » **للطيفة الزيات** تنتمى إلى الطبقة البرجوازية المتوسطة ، وهى الطبقة التى تعيش فى حساب دقيق مع التقاليد الموروثة ، ولكنها الطبقة التى يصدر عن أبنائها الإنجازات المحققة لآمال الوطن .

وتمثل ليلى نموذج الفتاة المكبلة من داخلها ، الفتاة التى تصدر أفعالها – ولا نقول قراراتها لأنها لا تستطيع أن تتخذ قرارا – من منطقة اللا وعى الذى لم تستطع تجاوزه إلى منطقة الوعى . ويمثل الأخ بالنسبة لليلى منطقة الوعى الكامل ، وحسبها ذلك ؛ فأخوها يتحرك من منطلق واضح وثابت لما يريد أن يحققه . وما يريد أن يحققه على الدوام يتجاوز الداخل إلى الخارج ، أى يتجاوز مطالب الذات المحدودة إلى مطالب الجماعة والوطن . ولهذا كان قادرا على أن يقول لا بإصرار إذا تعارضت مطالبه مع مطالب الأب والأم اللذين يدفعانه إلى أن يصم أذنيه عما يجرى حوله وأن يلتفت إلى مصالحه الخاصة .

أما ليلى فيصدق عليها وصف حسين صديق أخيها ، وهو يمثل كذلك الجانب الواعى بالنسبة لليلى ، وكثيرا ما حاول أن يشدها إليه ولكنها كانت تهرب منه . يقول عنها حسين إنها « من الزجاج الكريستال ، جميل ومن السهل تحطيمه ، والكريستال سلبى أيضا مثلها ، يعكس الضوء ولا يشعه ، وهى

جميلة وذكية ، وهي ممتازة من جميع الوجوه ، ومع ذلك لم تستطع أبدا أن تقف على قدميها »[11] وربما بالغ حسين في وصفها بالذكاء والامتياز ، فمقياس الذكاء والامتياز ليس النجاح في الدراسة فحسب ، بل التفوق على الذات المعوقة كخطوة لزرعها في قلب الحياة .

وقد اتضح هروب ليلى من وعيها وتفضيلها البقاء مشدودة إلى منطقة اللاوعي في أكثر من مسلك ؛ فقد استسلمت لرغبة ابن خالتها الذي كان يريد أن يستأثر بها جسديا ، ولم تتركه إلا عندما علمت أنه يحقق رغباته الجنسية مع غيرها بشكل أو بآخر . ثم سلمت نفسها بعد ذلك للأستاذ الجامعي الجامد الذي طغى عليه غروره فكان يسخر مما يسمى عواطف أو حبا . ولم يرغبه في ليلى إلا أنه وجدها من النمط المستكين الذي يسهل قياده . ومع أن ليلى كانت على يقين من مشاعره الباردة إزاءها ، فقد ظلت مرتبطة به إلى أن قرب ميعاد الزواج ، وعندئذ قررت أن تهرب منه إلى بور سعيد لتعمل مدرسة ، وتنضم في الوقت نفسه إلى أخيها وصديقه حسين ، اللذين نذرا نفسيهما هناك فداء للوطن . ومن الطبيعي أن يكون حسين هو الرجل الذي يمكن أن تتوحد معه ليلى بعد ذلك في حياة واحدة .

وأحسب أن الكاتبة كانت تخطط منذ بداية الرواية إلى ضرورة إحداث تغيير في شخصية بطلتها ، وأحسب أنها كانت تخطط كذلك لجعل التغيير يحدث بدافع وطني ؛ إذ إن الأحداث السابقة كلها كانت تنبئ بذلك . على أن هذا التحول المفاجئ لشخصية ليلى على هذا النحو ، ربما كان غير طبيعي ؛

إذ ليس من المنطقى أن تتحول الشخصية فجأة من منتهى السلبية إلى منتهى الإيجابية، وبخاصة أن دافع التحول لم يكن من داخلها، بل كان من خارجها.

وعلى عكس ليلى تقف المرأة البطلة فى قصة **غادة السمان** «الحياة بدأت على التو» وهى إحدى قصص مجموعتها «زمن الحب الآخر».

فالمرأة هنا تعرف مطلبها وهى متمسكة به ولا تحيد عنه. إنها المرأة التى تملك زمام نفسها، وتسعى إلى عمل تعشقه فتكبر معه ويكبر معها. وهى فى الوقت نفسه تنشد حبا مثاليا تتوحد فيه مع رجل يقدر شخصها ويقدر حبها له. تقول البطلة: «الزلزال فى الأرض الصخرية - هكذا كان حبى له. كنت أرضا شرسة وكانت جذورى تزداد إمعانا فى التسلل إلى باطن الأرض كشجرة. وعبر عملى الصحفى وانتمائى الحزبى، وعبر حبى الصادق لكل ماهو جميل وأصيل فى العالم حولى، كنت شرنقة من العلاقات البهيجة المليئة بالكفاح والأمل، رغم ترصد الجواسيس لنشاطنا. وكان حبى شرسًا وعنيفا ككفاحى».

ولكن أحمد لم يكن قد سما بحبه معها إلى هذه الدرجة التى كانت تنشدها، ولكنه يرغب فى امتلاكها إلى الحد الذى يمكن أن يقتل فيه طموحها. ومع كثرة النزاع بينهما، بدأت تشعر بأنه يريد امتلاكها غصبا. تقول:

«أحسست بأنفاسه تتسارع، وبرغبته فى امتلاكى تتأجج لمجرد أننى لا

أريد . إذن هو الآن صياد ، وهو الآن مغتصب ، وما زال الشرقى فيك يحب عملية صيد الغاب فى الحب . إذن ليس هناك لقاء حقيقى ما دمت أنت يا أنبل الرجال مجرد صياد آخر » .

إن المرأة عند غادة السمان لا تمتلك قوة الحب إلا بقدر ما تملك عشق الحياة وعشق العمل الذى يفجر فيها طاقاتها الخلاقة . فالنجاح فى الحب والنجاح فى العمل وجهان لعملة واحدة . أما إذا خيرت المرأة بين هذا وذاك فلتختر حياتها الخاصة ، لأن الحب الذى يلغى شخصية المرأة ليس حبا ، بل امتلاكا .

وهناك نموذج ثالث طريف للمرأة ، صورته **أليفة رفعت** على نحو رمزى فى قصتها « عالمى المجهول » . إنها الزوجة التى بدأ يغشى حياتها صمتٌ قاتل ، بعد أن فقد زوجها الإحساس بوجودها ، فتقوقعت فى داخل نفسها لتعيش رغباتها الداخلية مع نفسها . تقول : « فحين كنت ألج عالم حبى ويستحضرنى فاستسلم لندائه ، لا يلاحظ أحد من حولى ما يحدث لى .. كل ما هنالك أنه كان يصيبنى ما يشبه الاسترخاء وأروح فى شبه سبات . ولم يتغير من أحوالى شئ غير أنى أصبحت كثيرة الصمت محبة للانطواء . وبعد أن كنت ثرثارة أتلهف على الخروج لدنيا الناس ، أصبحت أتوق للانفراد ، وأشتاق لحظة الاستسلام مستعدة لتلبية النداء »[(١٢)] .

وعلى سبيل التعويض نشط عندها إحساس عنيف بعشق جسدها ، وكأن قوة نرجسية تملكتها . وتجسد الكاتبة هذه القوة الجسدية فى حية ظهرت لها وحدها وملكت عليها إحساسها وهى تتلوى بجسدها الطرى الناعم حتى

عشقتها الزوجة . ولما سمع الزوج بهذه الحية تأهب لقتلها ، ولكن الحية كانت قد انسحبت إلى جحرها . ثم عادت الحية وظهرت للزوجة فى سريرها . تقول الكاتبة : « ومرت أيام .. وإذا بى أجد بجانب فراشى جديدا ، وأقبلت حبيبتى تناجينى : لم تتدللين وتتهربين يا عروسى؟ أخوف أم جفاء؟ ألا تسعدين بالوصال؟ همست لها : إنى أتعذب ، فعشقك مبرح والشوق لمتعتك محرق ، إنى خائفة إنى أهبط هاوية ، وأسير للهلاك » .

« قالت ياحبيبتى ..لن أظهر لك إلا فى أنقى صورة للجمال .قلت متسرعة باندفاع ، ولكن الطبيعى أن تكونى رجلا ما دمت تصرين على مطارحتى الغرام . قالت : إنما الجمال الكامل فى المرأة ، فاستسلمى لى أذيقك سعادة لا تخطر لك ببال ، وأدلك على عوالم لا تتخيلين ما فيها من جمال »[١٣] .

ولم يكن الزوج ليصبر على هذا الحدث بعد أن سمع به ، فتتبع الحية وقتلها . أما الزوجة فقررت أن تهجر هذا البيت الرومانسى الجديد الذى وجدته بعد لأى مطابقًا كل المطابقة لرغباتها . ولم يبق أمامها سوى أن ترضى بسكنى شقة تطبق جدرانها على أنفاسها أينما تحركت فيها .

وعادت الزوجة تلوذ بالصمت مرة أخرى بعد أن خبا حبها المتوهج بعشق الحية ، عشق نفسها لنفسها ، ولم يكن قاتل هذا الحب سوى الزوج الذى سبق له أن قتل حبها الحقيقى له .

وعالم **سلوى بكر** عالم ثرى بنماذج واقعية للمرأة . وهى لا يعنيها أن تركز على المرأة المثقفة التى كثيرا ما يتمخض عن اعتزازها بثقافتها صراع دائب مع

نفسها أو مع الرجل بصفة عامة ، ولكنها تلتقط صورًا للمرأة البسيطة العادية أيا كانت هذه المرأة . فقد تكون تلك المرأة التى نالت حظا من الثقافة وأصبحت تشق حياتها فى صعوبة بالغة . وقد تكون امرأة بسيطة تعيش فى ذل وقسر ، وقد تكون فتاة قهرتها الحياة وهى تتمنى منها ألا تدير ظهرها إليها وتنعم عليها بالزواج الذى يجمعها والرجل فى بيت واحد . وكل صورة من هذه الصور لا تتشكل بمفردها ، بل يثريها تداخل الأصوات ، أو تفاصيل الحياة الدقيقة ، كما يثريها سرد هادئ وغير معقد ، تقطعه بين الحين والآخر نبرة سخرية خفية .

فقصة « النهر يجرى والنجوم نهارى » - وهى إحدى قصص مجموعتها الأخيرة وعنوانها « عن الروح التى سرقت تدريجيا » - تقدم نموذج الفتاة التى بدأت تشق حياتها بوصفها كاتبة قصة . ولكن القيم السائدة فى عالم الرجل الذى عليه أن يقرر قبول القصة أو عدم قبولها تصدمها وتجعلها تعى أن الكتابة لم تعد تنتمى إلى عالم الفن وحده ، بل لابد أن تتلوث بقيم الحياة الفاسدة قبل أن تخرج إلى النور . وتقول فى خاتمة القصة : « وكنت وقتها أفكر فى كلام رئيس التحرير الذى يكتب الروايات ويظهر بين الحين والآخر فى برامج التليفزيون والذى قال لى : إن الموهبة لا تكفى ، فالعلاقات والإصرار على النشر مهم جدا ، وأنت واحدة ، يعنى ممكن تستفيدى جدا من هذا الموضوع » . وتعلق الكاتبة على هذا الكلام بينها وبين نفسها وتقول : « كنت أشعر وقتها أن الحياة صعبة جدا » (١٤) .

ولم تكن الحياة قد بدت لها صعبة جدا من هذه الزاوية فحسب ، بل إن الصعوبة تطل عليها من كل زاوية من زوايا الحياة . لقد رأتها - وهى تسترجع

قصتها مع رئيس التحرير – فى تلك المرأة البسيطة الجالسة فى القطار وهى ترضع طفلها الهزيل الجائع ، ورأتها فى ذلك الشاب الذى يختلس النظرات إلى ساقيها بين الحين والآخر ، ورأتها فى المحصل الذى يريد أن يختلس منها بقية النقود التى دفعتها ثمنا للتذكرة . وكان عليها أن تعود إلى بيتها لتستحم وتزيل عن نفسها الإحساس بكابوس الحياة الصعبة .

وتقدم قصة « انتظار الشمس » نموذجا لامرأة بسيطة فقيرة تعيسة . وتحكى هذه المرأة قصتها موزعة فى مشاهد أربعة لرجل غريب يجلس بجانبها ويقاطعها بين الحين والآخر بما تفهمه وما لا تفهمه . وما إن تنتهى المرأة من حكاية قصة فشلها مع زوجها حتى يفاجئها الرجل برغبته فى الزواج منها . لقد وجدها الرجل العجوز الذى يبدو أنه يكبر أباها ، فرصة لأن يتخلص من نزاع أبنائه على الشقة التى يسكنها ، ولكى يصنع عملا طيبا يحسب له فى حسابه عند ربه . وفوجئت المرأة بهذا العرض المفاجئ ، ولكنه منحها فرصة تتداول فيها مع نفسها حتى اليوم التالى . وقبل حلول اليوم التالى كانت المرأة قد استقر رأيها تماما على القبول ؛ فهى تسكن شقة مظلمة فى بدروم وترعى طفلين صغيرين ، والرجل سوف ينقلها إلى شقته المشرقة الرحبة ، ثم إنه رجل وسوف يرعاها . وفى المكان المحدد للقاء جلست تنتظر ، ولكن الرجل لم يحضر ، وبعد مرور وقت طويل توترت فيه أعصابها ، لاح لها خيال رجل مسن على بعد وهو يمد يده نحوها . وأسرعت إليه فى لهفة وعندما اقتربت منه تحول خيال الزوج المنتظر إلى شحاذ يطلب « حسنة » .

أما القصة الأخيرة وهى قصة لعب الورق ، فتقدم نماذج لثلاث أخوات فى

سن الزواج وربما تعدينه بعض الشيء ، ،أصبحن يحلمن بالرجل الذى ينتشلهن من الخوف بتهديد العنوسة . وفى النهاية قررن أن يكتبن خطابا مطولا لرئيس تحرير جريدة أملا فى أن ينشره ، فلعل الخطاب يجتذب قارئا يستجيب لندائهن . وتأتى طرافة القصة من أن البنات الثلاث تبادلن كتابة خطاب واحدة بعد الأخرى . ومن روح الدعابة المغلفة بشوق محترق إلى الزواج الذى لا غنى فى حياة المرأة التى يصعب عليها تماما أن تعيش الحياة القاسية المزدحمة بمفردها ، تقول إحداهن :

لا تقل يا سيدى لماذا كل هذا الشوق إلى الرجال ؟ هل هو الجنس ؟ الحب ؟ نعم ياسيدى نحن نريد حبا ولنا مشاعر وحاجات كبقية البشر .. لكن قل لنا بالله عليك هل نستطيع الذهاب بمفردنا إلى السينما الآن وخصوصا فى المساء ؟ وهل يمكن أن تذهب واحدة منا وتنزل البحر بمفردها لو أرادت ؟ نحن محاصرات ياسيدى وأنت تعلم ذلك بالتأكيد .. وعرضة لمتاعب كثيرة تكاد تحطمنا وتفترسنا ، والسبب بسيط جدا وهو أننا بلا رجال .. لا أب ولا أخ ولا زوج ولا ابن » (١٥) .

وهكذا تتضافر كل هذه النماذج للمرأة لتعلن أن المرأة محاصرة بالرجل من كل جهة تريد أن تقتحمها لتهدأ فيها .

وربما كان من الطريف أن نقدم إلى جانب تلك النماذج النسائية عند بعض الكاتبات ، **نموذجا أخر فى كتابات الرجال** . ونختار لذلك قصة « الملاك الأبيض » **لمحمد زفزاف** . وبطلة هذه القصة فتاة صغيرة مسكينة تعودت أن تطرق

باب راوى القصة لتطلب طعاما أو نقودا . وما إن يفتح لها الرجل الباب حتى تدلف إلى الشقة لتلاعب الغيلم (وهو ذكر السلحفاة) الذى يربيه الرجل فى شقته . وعلى الرغم من أن الغيلم كان فى حالة صيام ، منكمشا فى بيته الصدفى طوال الوقت ، فإن الفتاة الصغيرة كانت تصرخ بمجرد أن تبدأ فى مداعبة الغيلم وتدعى أنه يعضها . ومع ذلك فلم تكن الفتاة الصغيرة تود أن تبتعد عن هذا الغيلم ، بل على العكس كانت تصر على الاقتراب منه ومعاكسته .

وكانت الفتاة وهى تصرخ مدعية كذبا أن الغيلم الوديع يعضها ، تستقطب بالنسبة للراوى رأيه فى كل النساء ، اللاتى خبرهن واللاتى لم يخبرهن على حد سواء . وهنا توظف اللغة لتكون شاهدا على رأى الكاتب أو الراوى فى المرأة بصفة عامة .

يقول معلقا على صراخ الفتاة : « عندما تكبر سوف تتقن البكاء والشكوى والتظلم من أشياء وأعداء غير موجودين إلا فى الخيال . سوف تكسب بعد ذلك ود مجموعة من الرجال الذين يكتشفون اللعبة ثم ينصرفون عنها ، ولكن ما كل الرجال يكتشفون هذه اللعبة ، وعندما يكتشفونها عند امرأة واحدة ، تظل تسحلهم حتى المقبرة مثقلين بالأولاد والشرور والعناء والتشبث بسخافات هذا العالم »[١٦] .

ومرة أخرى رده صراخ الفتاة إلى ذكرياته مع زوجته فى الماضى ليكشف عن طبيعة المرأة الغربية وعدوانيتها التى تدفعها إلى تحطيم ماهو جميل فى الحياة ، فضلا عن لجاجتها فى الحوار . يقول : قالت الزوجة الأولى : إنك

تكرهنى ، قل إنك تحبنى . (قال) الحب لا يقال بل يفعل . (قالت) إنك لا تستطيع أن تقول أحبك لأنك أنانى ، وتعتقد أنك الرجل الوحيد على الأرض . (قال) أستطيع أن أقولها ، ولكن ما جدوى ذلك ؟ يمكن أن أقولها ولكن قلبى يكون معلقا بامرأة أخرى . (قالت) لا يهم ، قلها وكفى حتى تتحطم أنانيتك ، تعتقد أنك وحدك الرجل الوحيد على الأرض » (١٧) .

وذات يوم أزعجته « أحلام » (وهو اسم الفتاة الصغيرة) بصراخها ، ففتح لها الباب ودس فى يدها قطعة نقدية وأمرها أن تنصرف . ثم أطل من الشرفة فرآها تركض نحو البقال . ويعلق الراوى على ذلك ويقول : « لقد وصلت إلى الهدف كأى أنثى أخرى كبيرة ، عندما تبلغ هدفها تطير فرحا وتتصرف كطفلة تماما حتى تفقدما بين يديها إلى الأبد . بعد ذلك تأتى مرحلة الندم العابرة ، لقد كانت المرأة فى الجنة فأضاعت جنتها ، أفسدت كل شئ بتصرف أرعن ، ثم قررت أن تبكى وما تزال تبكى لحد الآن ، وسوف تظل تبكى » (١٨) .

(٧)

هذه النماذج القليلة التى تقدم صورا متنوعة للمرأة فى الأعمال الروائية الحديثة ، ربما كانت كافية لأن تجعلنا نتأمل قضية المرأة المعاصرة بمنظار جديد وغير تقليدى . فمثل هذه المواقف الهجومية من قبل كل منهما ضد الآخر ، جديرة بأن تدرس دراسة موسعة من الجوانب الاجتماعية والنفسية والاقتصادية . ويعد الأدب منطلقا لهذه الدراسة ومؤشرا صادقا إلى حد كبير .

ولا يستطيع أحد أن يدعى أن المرأة العربية تقف غريبة عن غيرها من نساء

عالمنا المعاصر فى هذا الصراع الذى يدور بينها وبين الرجل. فالمرأة الغربية المتحضرة، بل البالغة التحضر، تعكس وجها آخر لمتاعبها ومعاناتها.

وقد يبدو هذا غريبا، حيث إننا نعلم إلى أى حد تبدو المرأة الغربية شديدة الوعى بمطالبها ومطالب مجتمعها، وإلى أى حد هى واعية بتنظيم حياتها داخل البيت وخارجه حتى تظفر بأكبر قدر من متع الحياة. وفضلا عن ذلك دأب الرجل منذ زمن على احترام متطلباتها واحترام شخصها. وعلى الرغم من كل هذه المزايا التى تفتقدها المرأة العربية، تظل المرأة الغربية لها مشكلاتها الخاصة، بل الصعبة مع الرجل. وتكمن المشكلة فى أن الرجل، كما سبق أن قلت، يستطيع أن يوجه كل ما يطرأ من جديد على تنظيم العلاقات بينه وبين المرأة، وما من شانه أن ينصف المرأة ويخفف عنها الأعباء حتى تنصرف لنفسها وتحقيق ذاتها، يوجه كل ذلك نحو مصلحته. فإذا كان الطب الحديث قد قدم الوسائل الطبية المأمونة التى تكفل للمرأة تنظيم أسرتها حتى تتمكن من مشاركة الرجل فى الحياة فى يسر، يتضح للمرأة فى النهاية أن الرجل هو صاحب الغنم الأكبر من هذا التقدم العلمى؛ فمع الحرية المكفولة فى المجتمع الغربى للرجل والمرأة على حد سواء فى ممارسة حياتهما الخاصة كيفما شاءا، يبالغ الرجل فى أن يعطى نفسه مزيدا من الحرية، بأن يتزايد عزوفه عن ارتباطه بالحياة الزوجية مكتفيا بممارسة حياته خارج نطاق الأسرة فى حرية.

وهذا هو السبب فى تزايد حالات الانفصال فى المعيشة بين الزوجين. وهذا هو السبب كذلك فى عدم الرغبة فى الإقدام على تحمل مسئولية قيد الزواج، بخاصة من قبل الرجل.

وقد اكتشفت المرأة بعد فترة من ممارسة هذه الحرية غير المقيدة بأنها عادت كما كانت فى الزمن القديم وسيلة لتسلية الرجل وإمتاعه . وهى وسيلة يتحكم فيها كيفما شاء؛ فهو قد يرفض صحبتها عند وجود البديل الأكثر متعة، وهو قد يجعلها مرتبطة به ومعلقة بدون زواج رسمى . وإذا كانت طبيعة الرجل تجعله يميل إلى الأصغر سنا، فإن المرأة، بعد سن محددة، قد لا تجد من يقبل عليها من الرجال، فتسلم عندئذ نفسها لحياة الوحدة النفسية القاتلة . إننى لا أبالغ فى تصوير هذه الحالة للمرأة الغربية فلقد خبرتها عن قرب، ولقد عبرت الكثيرات من النساء عن ذلك فى ألم .

ولا عجب بعد هذا أن ظهرت فى المجتمعات الغربية وفى أمريكا منذ فترة ليست بالقصيرة، الدعوة النسائية الجديدة المتمردة، التى تطالب بحقوق المرأة على نحو جديد . وتلك هى **دعوة «الفيمينزم»** التى تطالب بالمساواة بين حقوق الرجل وحقوق المرأة . ودرجة الاختلاف بين هذه الحركة النسائية الحديثة والحركات النسائية السابقة، أنها حركة لا تركز على مطالب محددة تتعلق بمعيشتها، كأن تطالب بحق من حقوقها الأسرية، أو بمساواتها فى الأجور مع الرجل، ولكنها حركة تطالب بالمساواة على مستوى فكرى وحضارى جديد . وقد بدأت هذه الحركة بمجموعة من النساء ذوات الثقافة العالية، وما لبثت أن استقطبت عددا من المفكرين من الرجال .

وتنادى هذه الحركة بضرورة تحقيق النساء المثقفات بأنفسهن إنجازات فكرية حضارية تعيد للمرأة كيانها التاريخى جنبا إلى جنب مع الرجل . وتتوزع هذه

الإنجازات فى ثلاثة مجالات:

المجال الأول ويركز على تفنيد أقوال العلماء من الرجال الذين يتهمون المرأة باسم العلم بالضعف والاستكانة والدونية بالنسبة للرجل.

والمجال الثانى، ويركز على إعادة كتابة التاريخ الذى لم يكن فيه للمرأة أو الأسرة بصفة عامة نصيب يذكر.

وأما المجال الثالث فيركز على قراءة جديدة لأدب النساء، سواء ما يكتبه النساء عن النساء أو ما يكتبه الرجال عن النساء.

أما المجال الأول فتركز فيه الكاتبات على الرد على نظريات فرويد ومدرسته التى يقرر فيها أن المرأة مطبوعة على النرجسية والسلبية، وأنها تتميز بضعف قوة الأنا العليا، وتتلذذ بتعذيب الذات، كما أنها جبلت على أن تحسد الرجل، بل على كره بنات جنسها. وإذا وجدت امرأة من داخلها الدافع إلى تأكيد ذاتها، وحققت نجاحا قد يؤدى بها إلى الشهرة، فإن مثل هذه المرأة، من وجهة نظره، تكون مدفوعة لا شعوريا بحسدها للرجل. والفرق بين الرجل والمرأة بصفة عامة هو الفرق بين الشعور واللاشعور، فالرجل يماثل الشعور، والمرأة تماثل اللاشعور.

والفرق بين الشعور واللاشعور - كما قلنا - هو الفرق بين عالم مظلم مكبوت خانق لا يكاد الإنسان يتنسم فيه عبير الهواء المنعش، وعالم منطلق مشرق متجدد الهواء على الدوام.

وإذا كان يونغ لا يتفق كلية مع فرويد فى أقواله تلك، فله نظريته المنسوبة

إليه ، التى تتلخص فى التوحيد بين الذكورة والأنوثة عند كل من الرجل والمرأة . فالمرأة تحتوى فى تكوينها على جزء ذكورى يسميه الأنيموس Animus، كما أن الرجل يحتوى فى تكوينه على جزء أنثوى يسميه الأنيما . وإذا كان الرجل يصطدم بالجزء الأنثوى فى تكوينه فى أثناء رحلة اكتشافه لمحتوى لا شعوره ، فإن المرأة لا تتحرك من اللاشعور إلى الشعور إلا بمساعدة عنصر الذكورة فيها .

وكما تفند الكاتبات هذه النظريات النفسية ، تفند كذلك آراء الأنثروبولوجيين الذين وظفوا نظرية ليفى شتراوس فى ثنائية الطبيعة والحضارة فى الادعاء بأن المرأة بتكوينها البيولوجى تمثل الطبيعة ، فى حين أن الرجل يمثل الحضارة . والحضارة تعنى أن يكون الرجل صانعا لحياته ، وقاهرا بفكره كل معوقات الطبيعة ، وأن يكون مكيفا كل ما يصل إليه من مادة جاهزة فى الطبيعة ؛ وهى مرحلة تأتى بالضرورة تالية للمرحلة الطبيعية التى يعيش فيها الإنسان معتمدا كل الاعتماد على الطبيعة . وبما أن المرأة منذ أن خلقت تخضع لقوى طبيعية متحكمة فيها ولا مفر من الخضوع لها ، وبذلك تضمن الحياة النسل المتجدد على الدوام ، فإن المرأة تظل كائنا طبيعيا . أما الرجل الذى لا شأن له بهذه العملية ، سوى أنه يضع البذرة الأولى فى رحم المرأة ، فإنه لذلك منصرف للعملية الحضارية .

وينتهى هذا الرأى إلى أن الرجل هو صانع الحضارة ، فى حين أن المرأة ، فى أحسن الظروف ، تعيش حياة بين الطبيعة والحضارة .

وهناك من يعبر عن وجوه الاختلاف بين الرجل والمرأة على نحو آخر ، وإن

يكن أخف وطئا من نسبتها إلى الطبيعة ، فحياة المرأة المتداخلة مع حياة الرجل أشبه بدائرة تتداخل ، ولا تتطابق مع دائرة أخرى . والجزء الذى يخرج من دائرة المرأة عن دائرة الرجل يسميه بعض الكتاب بالشريحة غير المستأنسة فى المرأة . وفى هذه الشريحة يتركز الوعى النسائى ، ومنها تتولد رموز هذا الوعى الذى قد يتمثل فى لغة ثورية أو فى سلوك متمرد ، أو فى شكل من أشكال الإبداع الذى لابد أن ينم عن طبيعتها .

ومهمة حركة « الفيمينزم » أن ترد على هذه المزاعم بأسلوب علمى ، على نحو ما صاغها أصحابها بأسلوب علمى .

أما **المجال الثانى** الذى تركز عليه الحركة ، فهو إعادة كتابة التاريخ البشرى بحيث يبرز فيه دور المرأة ودور الأسرة بوجه عام . إن كتابة التاريخ كانت بتأثير السياسة والحروب ، وهما مجالا اختصاص الرجل ، ولهذا جاء التاريخ ممثلا لحياة الرجال وحدهم . ولكن تاريخ الشعوب ، فى الحقيقة ، ليس سياسة وحروبا فحسب ، بل هو حياة الشعوب على مر العصور . وحياة الشعوب لابد من أن يتضافر فيها الخاص والعام ، والرجل والمرأة ، فى الكشف عن حقيقتها وأبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . هذا وقد عكفت بعض النساء فى أوروبا على هذا العمل ، وحققن نتائج مثمرة .

وأما **المجال الثالث** الذى تهتم به الحركة وتوليه اهتماما كبيرا ، والذى حققت فيه قدرا أكبر من إنجازها فى المجالين الأولين ، فهو مجال الأدب والنقد . فالجهد متواصل فى قراءة ما كتبته الكاتبات من النساء عن المرأة ، وما كتبه

الرجال عنها ومازلوا يكتبونه ، بهدف التوصل إلى جوهر المشكلة النسائية بصفة عامة ، ومشكلة المرأة مع نفسها ومع الرجل بصفة خاصة ، ثم الكشف عن عللها وأبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولما كانت هذه القراءة هادفة وتركز على مطالب محددة ، أدارت المرأة الناقدة ظهرها لكثير من نظريات النقد الحديثة وعلى رأسها البنيوية ، وتبنت منهجا يعينها على تحقيق مطلبها من القراءة . ومن ثم فقد أصبح النقد الحديث يعرف ما يسمى بنقد الفيمينزم إلى درجة أنه أصبح يفرد له فصلٌ تحت هذا العنوان . وترفض هذه الحركة تجميد النص بنموذج مسبق ، كما أنها لا تريد أن تقتصر القراءة على جماليات النص ؛ فالنص فى النهاية تعبير عن موقف اجتماعى وحركة فرد داخل مجتمع ،ولابد من الكشف عن هذا الموقف وتلك الحركة حتى يثبت أن للكتابة وظيفة فعالة . ولا يعنى هذا أن هذا النقد يركز على ما حول النص ، بل هو يركز على النص ، ويدعو إلى قراءة مفتوحة ؛ قراءة تفكك اللغة وتتلمس فراغاتها وصمتها ، فتسد الفراغات وتجعل الصمت يتكلم .وعندئذ يبرز ما فى النص من متناقضات تنميها الأيديولوجيا المتسلطة عليه .

ومثل هذه القراءة فى صالح الأدب النسائى ؛ إذ هى تساعد على الكشف عن أعماق تجربة المرأة من الناحيتين النفسية والحضارية . وليس غريبا أن يعد كتاب « سلطة التجربة » الذى صدر فى عام ١٩٧٧ لدياموند وإدوارد من أهم الكتب النقدية فى مجال النقد النسائى [١٩] .

وتحدد شوالتر Showalter، وهى إحدى الناقدات البارزات فى الحركة ،

أن الأدب النسائي مر بثلاث مراحل : مرحلة التقليد للتراث السائد ، ثم مرحلة الاحتجاج ضد القيم المتواضع عليها ، ثم أخيرا مرحلة اكتشاف الذات . وهي تمتدح أعمال بعض الكاتبات الروائيات الأخيرة ، التي لم تعد تعبر عن احتجاج مباشر على كل ما يهز كيانها ويؤرقها فحسب ، بل هي أعمال بلغت من النضج بحيث أصبحت صراعا بين الفن بكل قيمه وجمالياته ، وتحقيق الذات ، على نحو جعلها تقف على قدم المساواة مع أشهر الأعمال الروائية التي يبدعها الرجل . وهي في ذلك تشير بصفة خاصة إلى أعمال إريس مورداخ ، ودوريس ليسنج ، ومارجريت درابل[٢٠] .

وخلاصة القول أن النقد النسائي يحفل بالتجربة ؛ تجربة الرجل والمرأة في مواجهة بعضهما بعضا ؛ ويعد الكشف عنها الهدف الأساسي من قراءة النص . ولا يتحقق هذا إلا بناء على علاقة حميمة تنشأ بين القارئ والنص . وهو في هذا لا يستهدف التفسير بل تغيير وعي القارئ بتلك العلاقة القهرية بين الرجل والمرأة ، كما فرضتها ظروف العصر .

إن حركة الفيمينزم حركة واعية ، صادرة عن مجموعة من النساء جمعها اهتمام واحد عبرت عنه في شكل ممارسات منهجية وإنجازات نظرية . وهي حركة لا ترتبط بأدب قومي بعينه ، ولا بجنس بشرى بعينه ، إنما هي حركة عامة ، تجمع بين النظرية والتطبيق ، وتهدف من خلال كل ممارساتها إلى تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة ، بحيث لا تقف حركة المرأة عند حدود الشكوى والتمرد ، بل ينبغي أن تترجم الشكوى إلى إنجازات حضارية جديدة ، تتلاءم مع

متطلبات العصر ومشاكله المعقدة .

وبعد ، فإن هذا العرض السريع لبعض تلك المواقف النسائية التى حاولنا أن نستمدها من كتابات المرأة من القديم حتى الحديث تؤكد خصوصية الكتابة النسائية .وهذه الخصوصية ينبغى أن تبحث من زاويتين ؛ زاوية موضوعية وزاوية فنية . وإذا كنا قد ركزنا على الناحية الموضوعية ، فإننا نؤكد أن الناحية الفنية جديرة بالبحث كذلك .

على أن تأكيد الظاهرة النسائية فى أدب النساء ، لا يعنى أن تظل فى كتاباتها حبيسة مشاكلها الذاتية ومشاكل بنى جنسها . فما تزال الحياة تدعو المرأة لأن تعيش حياتها فى مجالات أكثر رحابة ، وأكثر فلسفة ، وأعمق ثقافة ، وحتى لا يقال ما يقال من أن أدب المرأة ما زال حبيس مشاكلها المحدودة .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES

المراجـع

(١) القرآن الكريم - سورة البقرة - آية ٣٤، ٣٥.

(٢) نبيلة إبراهيم : انظر الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، من ص ٢١٥- ٢٢٧، دار المريخ - الرياض، ١٩٨٥.

(٣) حكاية الجارية تودد: ألف ليلة وليلة الجزآن الثاني والثالث - المكتبة التجارية، القاهرة.

(٤) نبيلة إبراهيم : انظر سيرة الأميرة ذات الهمة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٨٤.

(٥) باحثة البادية : النسائيات، مطبعة الجريدة، ١٣٢٨ هـ ، المقدمة ص ح.

(٦) نفسه من ص ٩٦ إلى ١٠١.

(٧) نفسه ص ١٠٦.

(٨) نفسه ص ١٦٣.

(٩) فاطمة اليوسف : ذكريات، الطبعة الثالثة، يناير ١٩٧٦، دار روز اليوسف، ص ٧٣.

(١٠) نفسه ص ١١٢، ١١٣.

(١١) لطيفة الزيات : الباب المفتوح : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩و ص ١٧٥.

(١٢) الليلة الثانية بعد الألف : مختارات من القصة النسائية في مصر، إعداد وتقديم يوسف الشاروني، ص ١٣٩.

(١٣) نفسه ص ١٥٥.

(١٤) سلوى بكر : عن الروح التي سرقت تدريجيا، مصرية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص ٣١.

(١٥) نفسه ص ٦٢.

(١٦) محمد زفزاف : الملاك الأبيض، مختارات فصول ٥١، الهيئة العامة للكتاب . القاهرة، ص ١٤.

(١٧) نفسه ص ١٩.

(١٨) نفسه ص ١٨.

(١٩) Sydney Janet Kaplan : Varieties of Feminist Criticizm . London 1984 . p . 37 .

(٢٠) نفسه ص ٤٢، ٤٣.

* * *